

أمثلة من الترجمة

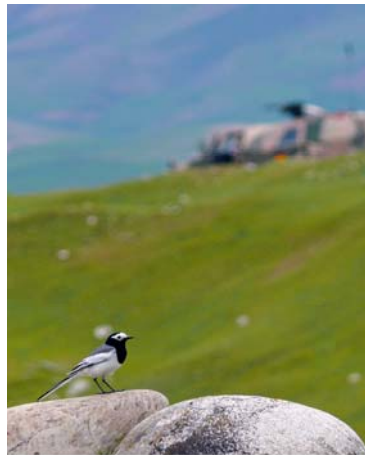
Norbert Scheuer
Die Sprache der Vögel

C.H.Beck Verlag, München 2015
ISBN 978-3-406-67745-8

صفحات 9-22 & 131-135

نوربرت شوير
لغة الطيور
رواية

ترجمة هبة شلبي



Norbert Scheuer
Die Sprache
der Vögel

Roman

C.H.Beck

كان جدي الأكبر أمبروسيوس أريموند يؤمن بأن جميع الطيور على وجه الأرض لديها لغة مشتركة. ظل طوال حياته عاكفًا على فك رموز تغريدها، ذلك العالم المليء بالنعجمات السحرية والإشارات والمعاني. كان أمبروسيوس يرى أن كل فصيلة من فصائل الطيور وما لها من تغريد خاص، بمثابة أحرف من أبجدية غامضة. ومن المفترض أنه قام بتسجيل تغريد الطيور من خلال كتابة ابتكرها بنفسه. وإن الصور الظلية للطيور المحلقة، والتي تميز كل فصيلة من فصائل الطيور، كانت بمثابة القواعد اللغوية الخاصة بتلك الكتابة؛ وكانت السماء عبارة عن ورق رقيق أزرق لازودري اللون، يحيط بالكرة الأرضية ويصل إلى الغلاف الجوي الطبقي، حيث تمارس طيور السمامة الحب مع بعضها البعض أثناء الطيران. قادته رحلاته البحثية إلى كل مكان تقريبًا، فوفقًا لتقاريره البحثية، عبر أمبروسيوس الشاب جبال الألب عام ١٧٧٦ ووصل إلى فينيسيا، وأبحر من هناك عبر شرق البحر المتوسط وسلك طريق الحرير حتى عكا، تلك المدينة التي عُرفت قديمًا باسم بطولومايس، ثم واصل رحلته إلى فلسطين متنقلًا بالقوافل عبر الصحاري وعلى طول نهر الفرات في اتجاه الشرق، مجتازًا الجبال الشاهقة النائبة عبر بلاد فارس حتى وصل إلى ما يعرف اليوم باسم أفغانستان. كثيرًا ما كان أبي يحكي لنا عن أمبروسيوس، وقد أخبرنا أن الجزء الأكبر من تقاريره فُقد جراء الحروب النابليونية ولم يبق منها سوى بضعة أوراق رقيقة مصفرة اللون، من المفترض أنها محفوظة في مكان ما داخل صندوق خشبي قديم موجود في أحد المخازن. وكانت تلك الأوراق عبارة عن صفحات مكتوبة بخط يدوي يروي فيها أمبروسيوس عن رحلته عبر بلاد فارس. وعلمنا كذلك أن أمبروسيوس قد عاد في نهاية المطاف إلى قريتنا مرة أخرى، حيث تحدّث عن وجود أنواع مجهولة من الطيور

صفحة ١٠

وعن أناس تتملك آلهة الرياح من أرواحهم، تطير من أعلى قمم جبال الهندوكوش لتسبح فوق الأرض في أثير الهواء مستقلة أجنحة الأورنيثوبتر والطائرات الورقية يدوية الصنع. لا أعلم ما إن كانت تلك القصص حقيقية، أو ما إن كان أبي نفسه يصدقها أم لا. ولكنه في جميع الأحوال كان يجب أن يخبرنا إياها. أخبرنا أيضًا أن أرض الطيور تقع خلف جبال الهندوكوش، وأن أنواع الطيور التي تزخر بها تلك المنطقة تفوق على الأرجح كافة الأنواع الموجودة في أوروبا، بل في الغرب بأكمله، وهو ما يعود إلى زرقة السماء الفريدة من نوعها.

الاثنين الموافق ١٤ أبريل ٢٠٠٣، أفغانستان، المطار،
 نائب العريف المُسعفِباول أريموند،
 كتيبة المشاة الرابعة

ترفرف العقاقع فوق المدرج المغبر بالأتربة. تتميز تلك الفصيلة الآسيوية بحواف أجنحتها الرفيعة التي يميل لونها إلى الأخضر اللامع، كما تتميز بريش ذيها البرونزي الطويل، وهي أكبر قليلاً من الفصيلة المحلية المنتشرة لدينا (العقق الجرمانى/ *pica pica germanica*). من المفترض أن تلك الفصيلة من الطيور تنطوي على خمس سلالات فرعية مختلفة. فقد رأيت في لوبورج مؤخراً بعض العقاقع عند التكنات؛ كانت تجثم ناعقة متسلقة قمم إحدى أشجار الحور الرجراج، بينما كنا نستعد في قاعة التدريب على مهمتنا في أفغانستان.

إن تلك العقاقع الموجودة على مدرج الطيران تتنازع على صوص، قامت على الأرجح بانتشاله من عشه. حلقت العقاقع وأخذت أجنحتها تدور في وهج الضوء الساطع. وبينما تتجاذب الطيور ذلك الحيوان الصغير، تتلألأ أجنحتها بجمال مذهل، تلك الأجنحة التي يختلط فيها اللون الأبيض والأسود، تتمم بمنقارها وتتبختر بخطوات مترنحة في الأرجاء وكأنها من أعضاء المجلس.

أرتدي سترتي الواقية وأحمل حقيبة ظهري وأسير مع رفاقي ماراً بالمتاريس العالية المعززة بالأسلاك الشائكة الشمس حارقة وخوذتي تتدلى على جبهتي التي يكسوها العرق. تتألق البيئة المحيطة بظلال رائعة تعكس درجات مختلفة من اللون البني. ما بين ذرات الغبار الدقيقة التي تحاكي لون قشور البيض المسحوقة ناعماً، ولون الصخور والأحجار البنية المائلة إلى الحمرة، والشجيرات المنخفضة والأشجار الشبيهة بأشجار الأثل التي تعكس أوراقها الصنوبرية ألواناً هادئة، فضلاً عن لون ذرات الرمال متناهية الصغر التي تستقر على شفتي وحاجبي؛ فتنحجب الرؤية أمامي وأغمض عيني.

للحظات معدودة وأعود لأفتحها مرة أخرى. ها هي العقاقق قد اختفت بلا أثر، فهي لا تعرف الأسوار أو الحواجز.
نتوجّه بالحافلة من مدرج الطيران إلى معسكرنا، وأنا أراقب بفضول صخب المدينة عبر الزجاج المعتم. في هذه الأثناء تساءلت في نفسي أين تبني طيور العقعق أعشاشها. إن علمي بوجودها هنا، يواسيني ويذكرني بموطني.

الثلاثاء الموافق ١٥ أبريل ٢٠٠٣

المعسكر في المساء؛ ما أزال في الخيمة المؤقتة وأكتب رسالة إلى يان. نحن أصدقاء منذ الطفولة، ولكننا لم نتراسل قط—ولم نتراسل إذن؟ إن كان بإمكاننا أن نلتقي ونتحدث في أي وقت؟ منذ أن وقع حادثنا لم يعد يان يتحدث معي، أو بالأحرى لم يعد يقول على الأقل ما يمكن وصفه بالحديث، فهو يهذي فقط ببعض الكلمات المشوشة، ويصدر أصواتاً غريبة ومخيفة لا يستطيع أحد أن يفهمها، بما في ذلك والدته أوديت. يتملكها العجز التام حين تستمع إليه على هذا النحو، والأطباء يقولون إنه أصيب بتلف مستديم في الدماغ. تحطمت عظام جمجمته أثناء الحادث وضغطت على المخ، مما تسبب في تلف عينه اليسرى أيضاً. ولم يعد قادراً على تذكر أي شيء. لا أعلم ما إن كان يان يفهم ما أكتبه له في الخطابات التي أرسلها إليه من أفغانستان، ولا أود التصديق بأن كل شيء قد دُفن في ذهنه، كل الأفكار والتجارب المشتركة. أريد أن يظل يان في ذاكرتي كما كان قبل الحادث. كنا نعتزم استكمال دراستنا بعد التخرج. وكنت أنا أرغب في السفر من أجل أن أتعلم لغة الطيور، وكان من المفترض أن يرافقني يان خلال أسفاري. كنا نحلم ونتخيل، ونسخر مما نقول، لأننا كنا نعلم أنها أشياء جنونية، وليست أكثر من مجرد أحلام.

أحاول أن أشرح ليان سبب انضمامي إلى القوات الاتحادية كمسعف، والسبب وراء تطوعي للمشاركة في بعثة الجيش إلى أفغانستان. أصف له طبيعة المكان وأخبره عن رفاقي الذين يقطنون معي

في المخيم، وعن البحيرة القريبة من المعسكر وعن كافة الطيور التي تسنى لي مراقبتها حتى الآن.

عشت بعد الحادث على مدى أشهر وكأنني أعيش في فراغ، منتظرًا ما قد يحدث. حياتي بأكملها كانت قد أصبحت بلا معنى، أظل مستلقيًا على سريري متأملًا أو أتجول في الأنحاء بلا هدف، لم يعد شيئًا يثير اهتمامي. لم أرغب في التحدث مع أي أحد عما حدث، ولا حتى مع تيريزا. شعرت أنني قد أفقدها هي الأخرى، ولكنني لم أستطع أن أفعل أي شيء للحول دون ذلك. لم تعد لدي رغبة في استكمال دراستي، كما كنت قد خططت في السابق، ولم أسع حتى للعثور على وظيفة أو على تدريب مهني. تشاجرت مع أمي كثيرًا، وحاولت أن أقنعها بعدم جدوى البدء في أمر جديد، لأنه في جميع الأحوال سأستدعى في الجيش عما قريب.

الأربعاء الموافق ١٦ أبريل ٢٠٠٣

إن معسكرنا عبارة عن مستوطنة محاطة بسور، تضم خيامًا للإيواء وحاوليات سكنية وإدارية وبار ومطعم بيتزا ومركز تسوق ومكتب بريد، إلى جانب كنيسة صغيرة. ويسكن المعسكر جنود من أربع جنسيات. وقد بدا لي حين وصلت إلى هنا أن المخيم مكتظ بالفعل، حيث أنه يستقبل فرقًا جديدة في كل شهر.

أقضي اليوم الأول في إنهاء الإجراءات الرسمية الضرورية أنا وغيري من الوافدين. يطلعنا أحد الضباط على إرشادات السلامة والأمان، ويروي لنا عن التفجيرات وعن الصواريخ التي تُطلق عدة مرات أسبوعيًا على المعسكر من المناطق الجبلية الوعرة، إلا أنها نادرًا ما تتسبب في أية أضرار، لأنها تضرب المنطقة الواقعة خارج المعسكر. أثناء جولتنا يلقي علينا التحية بعض الرفاق الجالسين أمام الحاوليات السكنية على مقاعد قابلة للطي، بينما يستمعون إلى الموسيقى أسفل شبّاك التمويه التي نصبوها لتحميهم من أشعة الشمس. وبين تلك الحاوليات السكنية قام العمال من السكان المحليين بمد طرق حصوية غير ممهدة. مع العلم أن الجزء الأكبر من مساحة المعسكر عبارة عن أرض حصوية، وذلك للحول دون انتشار الجردان المزعجة. وفي فترة ما بعد الظهر يتم التقاط صور شخصية من أجل التصريحات الأمنية، فمن دون تلك التصريحات لا يُسمح لأحد بالمكوث في المعسكر. أظهر في الصورة بشعر قصير، يكاد جميع من في المخيم يقصرون شعورهم ويطلقون لحاهم. لم أتعرف في البداية على نفسي في الصورة، يتملكني الفزع، أشعر أنني تغيرت تمامًا. ثم أرى النتوء الصغير الموجود على قصبه أنفي. ذلك النتوء الذي خلفه الحادث الذي تعرضت له في طفولتي

حين اصطدمت بباب زجاجي وكسرت عظمة أنفي.
أعثر على ريشة طائر خلال الجولة التي قمنا بها. أمّس عليها وأضعها في مفكرتي—إنها
أول ريشة أجدها هنا. تزخر تلك البلاد بالعديد من الفصائل التي لا أعرفها، من المفترض
أن يكون هذا الطائر في مثل حجم القرقف تقريباً. إلا أن ألوان الريشة قد بهتت جرّاء أشعة
الشمس الحادة.

السبت الموافق ١٩ أبريل ٢٠٠٣

في هذا الوقت يحتفلون في الديار بعيد الفصح. ذكرت تيريزا أن الثلوج تتساقط في إيفيل منذ يوم الجمعة العظيمة. فقد اتصلت بي أمس على نحو مفاجئ. اتصلت بي وهي تجلس في القطار الإقليمي متجهة إلى جبرولشتاين. لم أتحدث مع تيريزا منذ فترة طويلة، ولذا كنت سعيدًا بسماع صوتها. أخبرتني أنها ذهبت إلى كال لزيارة يان. ثم جلست بعد ذلك في المقهى التابع للسوبرماركت لانتظار القطار. ذلك المقهى الذي عادت أمي لتعمل فيه نادرة مرة أخرى، وهي من أعطت تيريزا رقم هاتفي. تحدثت تيريزا عن يان وعن عملها في مزرعة للخيول القريبة من البحيرة البركانية. طالما أرادت أن تصبح مربية للخيول، فهي تعشقها. وفي لحظة ما أثناء رحلة القطار انقطع الاتصال.

يصف أمبروسيوس خمس فصائل من العقاقع راقبها خلال رحلته عبر أفغانستان. وتختلف تلك الفصائل بعضها عن البعض في زخرفة أجنحتها وفي أشكال ذيولها ولون منقارها وحجمها بشكل عام. تنتمي العقاقع إلى فصيلة الغرابيات، وهي طيور مغردة حتى وإن كان نعيبها وزعيبها لا يفصحان عن ذلك. إن تلك الطيور تكاد تستعمر الكرة الأرضية بأكملها. يُقال أن هناك عقق يجلب الحظ، وآخر يجلب النحس. حتى أن بليني الأكبر نفسه كان يكنّ احترامًا عظيمًا لما تتمتع به تلك الطيور من ذكاء. فهو يرى أن تلك الطيور تجد متعة كبيرة في صياغة كلمات معينة، وأنها لا تتعلم تلك الكلمات فحسب، بل تعشقها، إنها تعكف على التفكير مليًا في سرها في استخدامات تلك الكلمات، ولم تكن لتخفي مدى انشغالها بهذا الأمر. ووفقًا لبليني، فقد ثبت أن العقاقع تتعرض للموت إذا ما



<العقق (العقق الباختراني/pica pica bactriana)>

صفحة ١٩

تعثرت في صعوبة الكلمات. حينما كان عمري اثني عشر عامًا قمت بتربية عقعق كان قد سقط من عشه. كنت أطعمه في كل صباح قبل ذهابي إلى المدرسة، فاكتسبت ثقته بعد فترة قصيرة، وبدأ يجلس على كتفي ويجذب شحمة أذني ويرافقني في جولاتي. في المساء، وبعد أن دونت أحداث يومي في مذكراتي اليومية، أحاول أن أرسم تلك العقاق التي شاهدها على مدرج الطيران. العديد من علماء الطيور يتجهون إلى تصوير الطيور التي يراقبونها. ولكن مثل هذه الصور قد تُنسى ما رأيته. أرسم العقاق بينما أفكر في تيريزا.

نقلت تيريزا وبروني الخيول إلى المستراد ثم قامتا بتنظيف الإسطبلات وقادتا بعد ذلك جرار "فيندت" القديم إلى المراعي القريبة من البحيرة البركانية من أجل إصلاح بعض الأسياج. إن كمّ الأشياء التي تتحطم في المزرعة خلال فصل الشتاء أمر يدعو للاستغراب. كانت تيريزا تأمل أن يكون فصل الشتاء قد انتهى أخيراً. لكن البرد كان فارساً في هذه الليلة. كان صاحب المزرعة قد أخبرهما بعد الإفطار بضرورة إصلاح الأسياج. إنه يُدعى كيسلر، وهو رجل عجوز ذو رأس أصلع، حواجبه كثيفة ووجهه مثلث الشكل تملؤه التجاعيد. كانت بروني تعلم ما ينبغي القيام به، فهي تعمل في المزارع منذ عدة أعوام. عملت مربية للخيول على جزيرة بالتروم قبل مجيئها إلى إيفيل، فكانت تتركب الخيول مع الأطفال على طول الشاطئ. ولكنّ الممل تملك منها في فصل الشتاء ولم تستطع الصمود على الجزيرة أكثر من ذلك. تلك الجزيرة التي كان كل شيء واضحاً فيها، إلى درجة أن الشوارع لم تكن تحمل أية أسماء. وحين قرأت بروني الإعلان الذي نشره كيسلر في جريدة الخيول حزمت أمتعتها وانطلقت مرتحلة. من المفترض أنها ستتسلم مزرعة كيسلر في غضون سنوات قليلة، هذا ما قالتها لتيريزا. فقد كان كيسلر وزوجته قد وعاها بإمكانية تولّي المزرعة في مقابل الحصول على معاش ضئيل. «لقد تقدمنا في السن ولن نستطيع الصمود طويلاً»، هذا ما قاله كيسلر لبروني، بينما أومأت صاحبة المزرعة بوجهها المستطيل المليء بالتجاعيد. وكانت بروني من السداجة بأن صدقت كل ما قاله لها آل كيسلر؛ بل وخُيل إليها أيضاً أن ذلك الطبيب البيطري الشاب، الذي يوفر لخيول المزرعة الرعاية الطبية، معجب بها.

وبعد الظهر باشرت بروني وتيريزا العمل على ضفاف البحيرة البركانية. هبت رياح باردة فوق المياه، وما أن بدأ الظلام يخيم على المكان حتى بدأ الثلج يتساقط. كانت تيريزا ترتدي سترة باول القديمة، وتحتها كنزة صوفية سميقة، ولكنها لم تكن ترتدي قفازات العمل. فجذبت السلك بإحكام بيديها المتألمتين وثبتت بروني الخطاطيف على الأعمدة. تطلعت تيريزا إلى البحيرة البركانية لتشاهد سرباً من هيات الطيور يعلو ويهبط مرة أخرى. وحينما ترى تيريزا الطيور، فإنها دائماً ما تفكر في باول، فلطالما كان مهتماً منذ نعومة أظفاره بكل ما يطير. كانت بروني تتحدث بلا انقطاع، ولم تستطع أن تلتزم الصامت، حتى أثناء العمل. تحدثت عن ركوبها الخيل إلى البحيرة البركانية في الصيف جنباً إلى جنب مع الأطفال الذين يقضون عطلاتهم، وعن السباحة هناك والاستلقاء في الشمس طوال اليوم. ثم بدأت تتحدث عن الطبيب البيطري وعن كونه رجلاً وسيماً وأنه كان يتفقد بنظرته منذ أن تولى العيادة من الطبيب العجوز لانجريش قبل عام. قالت بروني لتيريزا: «أنت لا تعرفينه على الإطلاق». فالطبيب البيطري الجديد لا يعمل في إيفيل منذ فترة طويلة، جاء من مكان قريب من ساحل بحر البلطيق. وإذا ما زار المزرعة تركض بروني خلفه كئليمة صغيرة، وتهيم به ليلاً ونهاراً.

قامت تيريزا وروني بجذب سلك آخر. مما أصاب تيريزا بشقوق في راحتي يديها الحمراءوتين؛ ففي كل مرة تتماثل يديها للشفاء، ما تلبث أن تتفتح الجروح مرة أخرى. حينما بدأ الثلج يتساقط بغزارة أنهت تيريزا وروني عملهما وقامتا بتحميل أدوات العمل وقادتا الجرار عبر الطرق الترابية عائدتين إلى المزرعة. انطفت مصابيح السيارة لمدة دقائق جراء تقطع التيار الكهربائي، مما اضطرهما إلى القيادة بلا رؤية على الطرق الوعرة. ونظراً لافتقار الجرار إلى زجاج أمامي،

كان الثلج يصطدم بوجهيهما. وفي المزرعة قامت تيريزا وبروني بتجهيز الخيول وتهيئتها، حيث اتفق بعض الأشخاص من المدينة على القدوم في اليوم التالي لتفقد الإسطبل وإلقاء نظرة عليه، للتقرير بشأن وضع خيولهم فيه.

الخميس الموافق ٣ يوليو ٢٠٠٣

يوجد اجتماع آخر بعد انتهاء الخدمة للتحدث بشأن العملية المقررة غدًا. سنرتحل على مدى أسبوع حتى نصل إلى الحدود الباكستانية. الوضع هناك شديد الخطورة. ففي هذه المنطقة هوجمت في الآونة الأخيرة دورية إنجليزية، حيث قام ثوريون بتدمير عربات الموكب بالأفخاخ المتفجرة والألغام. لن يتسنى لي على الأرجح مراقبة الطيور خلال هذه المهمة أو تدوين ملاحظاتي عنها.

في طريقي من الحاوية السكنية إلى المقصف أسمع أصوات طيور الدُرسة الصفراء فجرًا. يبدو لي وكأنها تنشد أغنية وداع. أظل واقفًا وأستمع إلى تغريدها الذي يتألف من سلسلة من النغمات التمهيدية القصيرة المتبوعة بخاتمة مختلفة في كل مرة. تجلس طيور الدُرسة الصفراء (*Emberiza citrinella*) داخل الشجيرات القريبة من المغسلة. ومن خلال مدة التوقف بين فترات تغريدها الملحن الشبيه بالعزف على الناي، يمكنني أن أتعرف على السن التقريبي لكل مغرد. ربما نتحدث مع بعضها البعض بلغة شاملة وثابتة لا تتغير. ها أنا في هذه الليلة أتصعب عرقًا مجددًا، لا يمكنني النوم، يكاد يجن جنوني من الضوضاء التي يحدثها المكيف، ليتني أستطيع أن أطفأه. إلا أن رفاقي سيقفلونني لو فعلت ذلك.

صفحة ١٣٢

الدرسة الصفراء (Emberiza citrinella)

الثلاثاء الموافق ١٥ يوليو ٢٠٠٣

انتهينا من المهمة وعدنا للمعسكر مرة أخرى. الأجواء حارة ويسودها الركود، لم يحدث هنا أي تغيير منذ يومين، باستثناء هبوب عاصفة صيفية واحدة. نقضي أوقاتنا هنا في الانتظار وفي العمل المتكرر في مركز الإنقاذ بالمعسكر أو في المستوصف، أو في المشاركة في بعض المهام أحياناً. ننتظر الاضطفاف الصباحي، والأخبار القادمة من الوطن—لم تأتني أية أخبار من تيريزا منذ فترة طويلة. اعتدت الذهاب إلى المكتبة كثيراً. ونظراً لأنني أتواجد هنا بمفردي، فإنني أسدل الستائر فيما عدا فتحة صغيرة وأخلع الزي العسكري وأجلس على المقعد المجاور للمكتب متقرفصاً في ملابسي الداخلية. شريط ضوئي أوجد تتراقص أمامه ذرات التراب لتترسب بعد ذلك على لوح المنضدة وعلى أرفف المكتبة من خلفي. الكتب المتراسة عليها تدوب في مخيلتي في ظل حرارة الجو، وتتحول إلى تراب، يلتصق بجلدي، وأتنفسه. أشرب الماء وأتعرق وأقرأ.

وأسأل نفسي مجدداً، ما الذي أتى بي إلى هذه البلاد، إلى هذه الحرب. تبدو لي وكأنها حيوان متربص له ألف وجه قبيح.

أغادر المكتبة وأتوجه إلى حاويتنا السكنية لأجد سيرجي يجلس على السرير ويتحدث مع زوجته على الهاتف. أما في ما عدا ذلك، فإنه يتسكع عادة مع رفاقه في البار. أشعر أن ثمة خطأ ما، فأغادر الغرفة مرة أخرى حتى لا أسبب له الإزعاج، وأتوجه للجلوس أمام الحاوية.

السبت الموافق ١٩ يوليو ٢٠٠٣

يجافيني النوم مجددًا، فأتجول مضطربًا في أرجاء المعسكر. سمعت في وقت سابق أصوات الطيور في الحلم لأول مرة، إلا أنني لم أتمكن من تذكر لحن تغريدها حين استيقظت من نومي، ذلك اللحن الذي بدا لي بالأحرى كلغة غير معروفة. ما يزال الظلام مخيمًا على المكان، أسمع صرير السيكاذا (عنقيات الخرطوم/Auchenorrhyncha)، بينما تخفق العنث بجناحيها في ظل الضوء الخافت النابع من أحد المصابيح. أجلس في مكان ما على صندوق. بعد أسبوعين ستتبدل وحدات الحراسة—وسأسعى حينها أخيرًا للوصول إلى البحيرة.

مع بزوغ الفجر وجدت ذلك الثعلب المتواجد بالمنطقة المحظورة، يجول مشتتمًا في الأنحاء، يبدو أنه يتطلع إلى المنطقة وكأنها منطقة صيده. لم يلحظ مركز القيادة حتى الآن أن الحاجز الإلكتروني معطل، ويبدو أن الحراس لا يباليون بالأمر. يشربون كثيرًا ويلعبون الورق خلال فترة خدمتهم.

أسمع مجددًا دوي انطلاق الطائرات غير المأهولة. تُرى إلى أين وجهها لوفبير ورفاقه؟ حين أراه صباحًا في المقصف أشعر برغبة في الجلوس والتحدث معه. ولكنه مستغرق للغاية في عالمه، ولذلك لن أستطيع أن أستقي منه أية معلومات. حين يدرس وثائقه، فإنه دائمًا ما يحك رقبتَه بأصابعه الطويلة، دائمًا ما يحك نفس الموضع، حتى أنه ينزف أحيانًا فيرتدي وشاحًا لإخفاء الجرح.

تعطل المكيف وانتشرت لدينا في الحاوية السكنية أعداداً رهيبية من الفواصد المثيرة للاشمئزاز. يقف يوليان عارياً على سريره ويضرب بمنشفته من حوله آلافاً من الحشرات الشبيهة بالبعوض الناقلة لداء الليشمانيات، وكلما اصطدنا منها ازدادت أعدادها. إنها تحط على كل موضع من مواضع الجسم؛ على زاوية العين، على الأذن، على فتحات الأنف، تلدغنا وتمتص دماءنا من أجل تغذية بيضها بالبروتين. نمزح بشأن الأمر ونقول إن البعوض هنا ينهال بشراسة على جسد يوليان كالنساء في الديار. أصبحت لديه نقاط حمراء ملتهبة في جميع أنحاء جسده. جميعنا يعاني من لدغات الحشرات، ولكنها تُخَلَّف على يوليان بصفة خاصة آثاراً جانبية سيئة، فينتفخ عنقه وتنتفخ عيناه. أخذ يضرب بغضب شديد كل بعوضة موجودة على الحائط والسقف وعلى الأثاث. وسرعان ما انتشرت بقع الدم في كل مكان. نفتتح المعركة سوياً ونبدأ جميعاً في اصطیاد كافة البعوض بالمناشف ونقفز في أرجاء الحجرات على الموسيقى الصاخبة صانحين "هجوم"، تتعالى ضحكاتنا وتتعرق وكأننا في الساونا. وفجأة يترنج يوليان ويسقط على الأرض، لم نعلم أنه يعاني من الحساسية ضد لدغات البعوض. حين يعود إلى وعيه مرة أخرى، أبدي رغبتني في مرافقته إلى خيمة الإسعاف، ولكنه يرفض أن يأتي معي، يخشى أن يكون لهذا الأمر آثار سلبية على تقييمه وأن يتم إرساله إلى المنزل. وحين ظننا أننا اصطدنا كافة البعوض، أطفأنا الأنوار وحاولنا الخلود إلى النوم. لم تمر سوى لحظات قليلة في الظلام حتى سمعنا طنطنة البعوض مرة أخرى.